حزب «النور السلفى» بين سندان «الإصلاحيين» ومطرقة «المحافظين»

مصطفى زهران*

ملخص

شهدت الفترة الأخيرة انشقاق كبير داخل اروقة ثانى اهم حزب ذى مرجعية اسلامية وسط المشهد السياسي المصري وهو حزب «النور «الذراع السياسية للتيار السلفي الغير منظم .والذى تمخض عنه حزب جديد أطلق عليه «الوطن « بقيادة الدكتور عماد عبد اغفور رئيس حزب النور السابق «المستقيل» فضلا عن التحالف مع الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل المرشح السابق لرئاسة الجمهورية وأحد اهم الرموز الإسلامية المصرية والذى كان سببا رئيسا في تصدع «النور السلفي».

الصراع الذى نجم عن تنامى السجال بين جبهتي «الإصلاحيين «و»المحافظين «اللذان يقودهما كلا من أشرف ثابت ونادر بكار وآخرين بمباركة الأباء المؤسسين للدعوة السلفية المصرية كأمثال الشيخ سعيد عبد العظيم والدكتور ياسر برهامى واخرين المحسوبين على الجناح الإصلاحى في مواجهة. الدكتور عماد عبد الغفور والقياديين يسري حماد ومحمد نور وأكثر من 150 عضوا محسوبون على الجناح المحافظ «المتشدد».

يعرض المقال لهذا الصراع وتأثير الأخونه على حزب النور وما مثلته القوى الرافضة له من داخل الحزب والتى رفع لوائها الجناح المتشدد فضلاً عن تنامى ظاهرة «لبرلة السلفية «وهو المقاربة العجيبة والغريبة لـ «حزب النور السلفي».

دفعت الاستقالات المتتابعة والمتوالية، التى بلغت أكثر من 150 عضوًا من داخل «حزب النور»، الذراع السياسية للتيار السلفى، إلى طرح جملة من التساؤلات حول المسببات الرئيسية والدوافع المباشرة، فضلاً عن المؤثرات الظرفية حول هذا النزوح الجماعى لكبرى قياداته ورموزه الفكرية إلى خارج الحزب.. ليتم تدشين حزب آخر «الوطن». والتى تأتى بعد مسيرة عامين خاض خلالها معترك السياسة ومارس «فيها» على استحياء الآلية الديمقراطية، والتى عكست بشكل كبير حجم التحولات الفكرية، التى طرأت عليه.. عقب ثورة الـ 25 من يناير، بعد عقود من العزلة والاغتراب عاشها هذا التيار- المنقسم فيما بينه والمتباين فى ذات الوقت- مع المجتمع من حوله بشتى تياراته وأفكاره وقواه السياسية والفكرية.

* باحث في حركات الاسلام السياسي.
gabarty_2000@yahoo.com

ويعد حزب «النور» السلفى أحد أهم وأبرز الأحزاب السياسية المحسوبة على قوى الإسلام السياسى المصرى.. خاصة بعد ما حققه من نتيجة كبيرة فى الانتخابات البرلمانية فى 2011م، والتى احتل خلالها المركز الثانى مباشرة بعد حزب «الحرية والعدالة»، الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين.

ومنذ تدشين حزب النور والانقسامات الفكرية تبدو سمة ثابتة فى هذا الحزب الوليد، كان على رأس هذه الرؤى مدى إمكانية الدخول فى تحالفات مع جماعة الإخوان المسلمين ممثلة فى «حزب الحرية والعدالة «من جهة والقوى المدنية بشتى تياراتها.. فضلا عن القوى الثورية الأخرى من جهة أخرى ومدى جواز تلك التحالفات والقبول بها بالتوازى مع الرؤية الشرعية لها.. مما عكس إشكالية كبرى لديه تمثلت فى الصعوبة البالغة فى الانتقال الهادئ من العمل الدعوى، الذى مارسته على مدار عقود ماضية تحت نظرية «فقه الدعوة» إلى ممارسة العمل السياسى والتى مارسها بشكل تقليدى وعفوى بدون فهم لهذه الآلية الجديدة، مما ظهرت الحاجة إلى العوز الشديد لفقه جديد لم يألفه التيار السلفى يعنى بكيفية إدارة وتوظيف خبرات وكوادر ومتطلبات الشارع وغيرها من رؤى اقتصادية وتنظيمية وإدارية وما شابه والتى يعنى بها مايمكن تسميته بـ"فقه الدولة».

وبطبيعة الحال كان من الطبيعى أن يلقى المشهد المصرى الجديد عقب الثورة بظلاله على رؤية الحزب وأفكاره وأن يتم فلترة وإعادة النظر لكثير من القضايا والأطروحات، التى كان يعتبرها هذا التيار مسلمات ومنطلقات ثابتة، لا يمكن القفز عليها أو المساس بها، والتى تتأرجح فى مجموعها بين محورى «الانفتاح» أو «الانغلاق» تجاه الرؤى الجديدة التى حملتها الثورة والاتجاه نحو العمل العام بعيدا عن التقليدية، التى كان يمارسها التيار السلفي. والتى اعتبرت بمثابة محاكاة لـ تجربة الإخوان فى العمل السياسى او مايمكن وصفه بـ تآكل الأطروحة السلفية فى مقابل التمدد الإخوانى فى البنية السلفية المصرية مجسدًا فى شكل حزب «النور» وهو ما أطلق عليه البعض بـ « أخونة السلفية «. الأمر الذى تسبب فى انقسام المشهد داخل النور إلى جبهتين «محافظة» وأخرى «إصلاحية».

تزعم جبهة «المحافظين « د. عماد عبد الغفور، والذى اختير مستشارًا للدكتور محمد مرسى عقب تنصيبه رئيساً للجمهورية، وهشام أبو النصر أحد الدعاة والقيادات السلفية المتشددة، والذى بادر بالاستقالة قبل الانقسام الأخير بعدة أشهر.. ثم أعقبه وجوه شابة مثل «محمد نور» و» محمد يسرى» وآخرين.. استشعرت هذه الجبهة أن الحزب ينحى طواعية إلى قبول الأخونة ويتنازل تدريجيا عن ثوابته ومنطلقاته الفكرية ويخضع لتأثير أعرق المدارس السلفية العلمية والملقبة بـ «السلفية العلمية السكندرية «والتى يتزعمها عدد من المشايخ والرموز أمثال الدكتور»

ياسر برهامى» والشيخ «سعيد عبد العظيم» وغيرهما.. وذلك بعد تغيير الكثير من أفكارهم ورؤاهم وفتواهم وقبولهم بأطروحات كان يستحيل القبول بها عقب الثورة.

وعلى الضفة الأخرى من شاطئ حزب النور المتعرج.. يقف الجناح الإصلاحى من الآخر المتشدد موقف المعارضة، تمثل فى عدم القبول لأطروحاته الفكرية على الرغم من عدم الإفصاح عنها بشكل مباشر وعلنى خاصة فى رؤى الحزب الداعمة للتقارب مع القوى المدنية وتغيير الوجهة العقدية والفكرية تجاه المسألة القبطية وما شابه، فضلاً عن حديث الشيخ سعيد عبد العظيم فى المؤتمر العالمى للتصوف الذى عقد فى مارس 2011 عن التقارب السلفى الصوفى عبر كلمته على هامش المؤتمر مما يوحى بإعادة النظر فى موروث السلفية قبل ثورة الـ 25 من يناير..

القيادى السلفى أشرف ثابت و"نادر بكار» الذى يتمتع بحضور قوى، «جلال مرة»، الأمين العام للحزب، «سيد خليفة» نائب رئيس الحزب، «أحمد خليل» عضو الهيئة العليا، فضلاً عن «"بسام الزرقا» مستشار الرئيس وآخر الوجوه الأبرز داخل هذا التيار.

عكست رغباتهم فى التحالف مع «الحرية والعدالة» بشكل خاص وجماعة «الإخوان المسلمين» بشكل عام عقب وصول الرئيس محمد مرسى إلى سدة الحكم طموحا زائداً فى أن يكون للحزب دور جاد وحقيقى غير هامشى على المشهد السياسى.. فضلا عن الرغبة الملحة فى تقديم تصور إسلامى وسطى بصورة قريبة من «التيار السلفى السرورى» بالسعودية الذى يجمع بين التقليدية السلفية واستلهام الحركية الإخوانية فى العملين «الدعوى» و"السياسى».

وأحد أهم إفرازات هذا الانقسام داخل أروقة حزب النور فى أشد تجلياته هو ظهور ظاهرة يمكن تسميتها بـ «لبرلة السلفية»، وهو مشهد يحاول من خلاله بعض الرموز السلفية داخل الحزب والمحسوبة على تيار الجناح الإصلاحى.. التماس مع الرؤى الليبرالية فى الحريات وقبول فكرة المواطنة والتقارب مع الأقباط بل إن خير تجسيد لذلك هو ماحدث فى التحالف الديمقراطى عقب الانتخابات البرلمانية فى نوفمبر 2011 من انسحابه جنبا إلى جنب مع القوى المدنية بسبب تعارض الرؤى مع جماعة الإخوان، ممثلة فى حزب الحرية والعدالة، بعد استشعارهما بفرض الوصاية والأبوية فى تعاملاتهما مع النور الوليد.

لا يمكن بأى حال من الأحوال إغفال دور الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل وظهوره على المشهد السياسى مرة أخرى بعد استبعاده من السباق الرئاسى وانعكاساته على المشهد السلفى المصرى خاصة «حزب النور السلفى».. والذى تزامن مع الإعلان عن استعدادات الشيخ لإطلاق حزبه الجديد، الذى سيضم شتات الإسلاميين والقوى الإسلامية الأخرى الراغبة فى دخول تحالفات

معه خاصة مع قرب الانتخابات البرلمانية القادمة 2013 م بعد إقرار الدستور الجديد عقب الاستفتاء، الذى جرى مؤخرا فى الـ 15 من ديسمبر2012م المنصرم.

استطاع الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل عبر خطابه الثورى وكارزميته غير التقليدية، والتى يفتقدها حالة الإ سلام السياسى التى تفتقر فى الوقت الحالى واللحظة الراهنة لمثل هذه القيادات التى تجمع ما بين الثورية والقدرة الخطابية فى أن يجذب قطاعا كبيرا داخل حزب النور وتحديدا جبهة «المحافظين» بزعامة الدكتور عماد عبد الغفور ورفاقه. ونجح أبو إسماعيل عبر براجماتية عالية أن يستثمر هذه الانشقاقات الفكرية ويضم هذه الرموز والقيادات السلفية إلى تحالفه الجديد وينطلق التحالف على أنقاض حزب النور السلفى فى مشهد يدشن لمرحلة جديدة للتحالفات والتكتلات السلفية المصرية.خاصة بعد اعلان الدكتور عماد عبد الغفور ورفاقة تدشين حزب «الوطن «الجديد مع المستقيلين من الحزب الأم «النور».

بخروج الجناح المحافظ من حزب النور يبدو المشهد ضبابيا ولا يمكن بأى حال من الأحوال التنبؤ بما سيحققه النور فى المرحلة القادمة إلا أنه من المتوقع أن يكون الظهير السلفى لجماعة الإخوان المسلمين لتحقق الجماعة التوازن ما بين السلفية والإخوان لضمان بقاء دعم الكتلة الإسلامية للرئيس محمد مرسى، الذى تقف خلفه جماعته بقوة.

وسيطرح حزب النور السلفى وحزب الحرية والعدالة نفسيهما على كونهما يمثلان الإسلام الوسطى بخلاف القوى الإسلامية الأكثر محافظة وتشددًا من وجهة نظريهما.

التحالف الجديد للشيخ حازم أبو إسماعيل، الذى ضم النازحين من معسكر النور السلفى وأحزابا سلفية أخرى تعد من الدرجة الثانية والثالثة فى مستوى مجموع الأحزاب المصرية.. مثل («الأصالة «الذى يترأسه د.عادل عفيفى و»الشعب «تحت التأسيس التابع لـ «الجبهة السلفية «.، و»الفضيلة») السلفى أيضًا.. سيمثل حالة فارقة أيضًا داخل أروقة قوى الإسلام السياسى.. وعلى الرغم من الاختلافات الفكرية بين هذا التكتل الجديد والنور إلا أنه لا يمكن القول باستحالة وجود تحالفات مستقبلية بينه وبين النور.. على الرغم من الاختلافات الفكرية إلا أن العمل السياسى من المتوقع أن يجمعهما.

التأكيد من قبل الأباء المؤسسين للدعوة السلفية بـ الأسكندرية في بيانهم الذى وقعه عدد منهم على رأسهم «الشيخ ياسر برهامى «والشيخ «سعيد عبد العظيم «وغيرهم بأن «حزب النور»هو الممثل الشرعى للتيار السلفي المصري .يؤكد على أن حزب «الوطن «الوجه الحزبى الجديد على التيار ذاته يمثل خروجا على الطاعه من قبل الدكتور .عماد عبد الغفور ورفاقة الذين كسروا عصا الطاعة واشهروا سيوفهم تجاههم فضلاً عن إعلان الثورة المستمرة على مؤسسي التيار السلفي المصري

.مما يجعل المشهد بمثابة صراع قد يدوم وسجال يتسع يوماً بعد يوم. بين القوى السلفية المصرية .يشير الى أن ماسيترتب عليه هذا السجال من حراك سيلقي بظلاله على واقعية التيار السلفي في تعاطية مع المشهد السياسي . فهذه المبارزة ستدفع التيار السلفي الى صوغ أشكال ورؤى جديدة قد تكون متباينة الا انها ستكون مغايرة تماماً ومخالفة عن تلك التى اعتدنا عليها في العقود الماضية .

ومن المتوقع ان تتباين الرؤى إزاء المسائل المتعلقة بالهوية والمواطنة والتحديث والشراكة الوطنية وغيرها .والتى من شأنها ان تضعنا على الخيوط الرفيعة لهذا الفكر وتطوره السريع وفق لأليات الظرف الزمنى ومجريات المشهد السياسي المتغير والزاخر بالأحداث خاصة بعد ثورة الـ 25 من يناير ووصول أول رئيس ذو مرجعية إسلامية إلى سدة الحكم وهو الدكتور محمد مرسي رئيس حزب الحرية والعدالة الذراع السياسية لجماعة الإخوان المسلمين السابق.